

أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ يعني: من أحيأ هذه السنة وعلمها للناس، وبينها للناس، وعملوا بها اقتداءً به؛ فإنه يكون له من الأجر مثل أجورهم.

وسبب الحديث معروف وهو: أنه لما جاء أناس مُحتاجون إلى النبي ﷺ من العرب، عند ذلك رَقَّ لهم الرسول ﷺ، وأصابه شيء من الكآبة من حالتهم، فأمر بالصدقة وحث عليها، فقام رجل من الصحابة وتصدق بمال كثير، ثم تتابع الناس وتصدقوا اقتداءً به؛ لأنه بدأ لهم الطريق.

عند ذلك قال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها». فهذا الرجل عمل بسنة، وهي الصدقة ومساعدة المحتاجين، والصدقة ليست بدعة؛ لأنها مأمور بها بالكتاب والسنة؛ فهي سنة حسنة، من أحيأها وعمل بها، وبينها للناس حتى عملوا بها واقتدوا به فيها؛ كان له من الأجر مثل أجورهم.

س: ذكرتم فضيلتكم أن كل بدعة ضلالة، وأنه ليس هناك بدعة حسنة، والبعض قسم البدعة إلى خمسة أقسام: بدعة واجبة، وبدعة مندوبة، وبدعة مُحَرمة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، فما هو الرد على هؤلاء؟

ج: الرد: أن هذه فلسفة وجدل مُخالفان لقول الرسول ﷺ: «كل بدعة ضلالة»^(١). وهم يقولون: ما كل بدعة مُحَرمة! فهذه فلسفة في

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وهو جزء من حديث طرّفه: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب...».

مقابل كلام الرسول ﷺ، وتعقيب على كلامه .

أما ما ذكره من بعض الأمثلة، وأنها بدعة حسنة؛ مثل جمع القرآن؛ فهذه ليست بدعة، هذه كلها تابعة لكتابة القرآن، والقرآن كان يُكتب ويُجمع على عهد النبي ﷺ، وهذه متممات للمشروع الذي بدأه الرسول ﷺ؛ فهي داخلة فيما شرعه .

كذلك ما قالوه من بناء المدارس، هذا كله في تعليم العلم، والله أمر بتعليم العلم، وإعداد العدة له، والرسول أمر بذلك؛ فهذا من توابع ما أمر الله به .

لكن البدعة هي التي تُحدث في الدين، وهي ليست منه؛ كأن يؤتى بعبادة من العبادات ليس لها دليل من الشرع، هذه هي البدعة .

س: إذا كان التنبيه على البدعة المتأصلة سيُحدث فتنة؛ فهل السكوت عليها أولى؟ أم يجب التنبيه ويحدث ما يحدث؟

ج: حسب الظروف، إذا كان يترتب مضرة أكثر من المصلحة؛ فهنا ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما هو الأنسب، لكن لا تسكت عن البيان والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، وتعليم الناس شيئاً فشيئاً؛ فالله يقول - جل وعلا - : ﴿فَأَنقُزْ آلَ الْفَارُوقِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] . فإذا كان إظهار الإنكار يُحدث مفسدة أكبر؛ فإننا نبين ونبصّر الناس حتّى يتركوا هذا الشيء من أنفسهم، والله - جل وعلا - يقول : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ أَمْرٍ﴾ [النحل: ١٢٥] . فالجاهل يُبدأ معه بالحكمة واللين، وإذا رأينا منه بعض النفور؛ يوعظ

ويُخوف بالله ﷻ، وإذا رأينا منه أنه لا يقبل الحق ويريد أن يدفع الحق بالقوة؛ فإنه يقابل بالقوة عند ذلك.

فالحاصل: أن القاعدة الشرعية أنه يجوز ارتكاب أخف الضررين؛ لتفادي أعلاهما، كذلك درء المفسد مقدّم على جلب المصالح، ولكن هذا شيء مؤقت؛ فنحن نتعامل مع هؤلاء الذين اعتادوا على هذا الشيء وأصروا عليه، نتعامل معهم بالرفق واللين، ونبين لهم أن هذا خطأ لا يجوز، ومع كثرة التذكير والتكرار؛ فإن الله ﷻ يهدي من يشاء؛ فربّما يتأثرون بالموعظة والتذكير، ويتركون هذا الشيء من أنفسهم؛ فنحن نتبع الطرق الكفيلة لإنجاح المهمة، ونستعمل الحكمة في موضعها، والموعظة في موضعها، ونستعمل الشدة في موضعها، وهكذا يكون الداعية إلى الله ﷻ؛ فلكل مقام مقال.

س: نطلب من فضيلة الشيخ توضيح موقف السلف من المبتدعة؟
وجزاكم الله خيراً.

ج: السلف لا يبدعون كل أحد، ولا يسرفون في إطلاق كلمة البدعة على كل أحد خالف بعض المخالفات، إنّما يصفون بالبدعة من فعل فعلاً لا دليل عليه، يتقرب به إلى الله؛ من عبادة لم يشرعها رسول الله ﷺ أخذاً من قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»^(١).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣-١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»^(١).

فالبدعة هي: إحداث شيء جديد في الدين، لا دليل عليه من كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ، هذه هي البدعة، وإذا ثبت أن شخصاً ابتدع بدعة في الدين، وأبى أن يرجع؛ فإن منهج السلف أنهم يهجرونه ويتعدون عنه، ولم يكونوا يُجالسونه.

هذا منهجهم؛ لكن كما ذكرت، بعد أن يثبت أنه مبتدع، وبعد أن يُنصح، ولا يرجع عن بدعته؛ فحينئذ يُهجر؛ لئلا يتعدى ضرره إلى من جالسه وإلى من اتصل به، ومن أجل أن يحذر الناس من المبتدعة ومن البدع.

أما المغالاة في إطلاق البدعة على كل من خالف أحدًا في الرأي، فيقال: هذا مبتدع! كل واحد يسمى الآخر مبتدعًا، وهو لم يحدث في الدين شيئًا؛ إلا أنه تخالف هو وشخص، أو تخالف هو وجماعة من الجماعات؛ هذا لا يكون مبتدعًا.

ومن فعل مُحرمًا أو معصية؛ يسمى عاصيًا، وما كل عاصٍ مبتدع، وما كل مُخطئ مبتدع، لأن المبتدع من أحدث في الدين ما ليس منه، هذا هو المبتدع، أما المغالاة في اسم البدعة بإطلاقها على كل من خالف شخصًا؛ فليس هذا بصحيح؛ فقد يكون الصواب مع المخالف، وهذا ليس من منهج السلف^(٢).

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٧٣/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر إلى ما كتبه صاحب الفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه: «هجر المبتدع».

س: ما قولكم يا شيخ -حفظكم الله- في هذه المَقولة: «إن الذي لا يأتي ببدعة مكفرة لا يخرج من مسمى أهل السنة؛ بل الذي يخرج من أهل السنة الذي يقع في بدعة مكفرة فقط»؟

ج: يا سبحان الله! الذي يأتي ببدعة مكفرة هذا ليس من المسلمين أصلاً، لا يكفي أن يقال: إنه ليس من أهل السنة، الذي يأتي ببدعة مكفرة يقال: إنه ليس من المسلمين ولا يقال: إنه ليس من أهل السنة فقط؛ لأنه إذا قيل: إنه ليس من أهل السنة فهم أنه مسلم؛ لكنه مُخالف لمذهب أهل السنة؛ فيكون كسائر المبتدعة، أما من جاء ببدعة غير مكفرة؛ فهذا هو الذي ليس من أهل السنة.

* فالمُبتدعة إذن على أقسام:

١- مبتدع كافر ليس من المسلمين أصلاً، وهو الذي عنده بدعة مكفرة.

٢- ومبتدع يُعد من المسلمين؛ لكنه ليس من أهل السنة، وهو مَنْ بدعته تقتضي الفسق، فلا يُمكن لمبتدع من هذين النوعين أن يقال: إنه من أهل السنة أبداً، إما أن يقال: إنه كافر خارج من الملة، وإما أن يقال: إنه مبتدع من غير أهل السنة والجماعة كالمُعترلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم من الفرق.

٣- مبتدع يُعد عاصياً، وهو من أهل السنة، وهو من كانت بدعته لا تقتضي فسقه.

س: ما حكم من يوقّر أهل البدع، ويحترمهم، ويشني عليهم بأنهم يطبقون حكم الإسلام، مع علمه ببدعهم، وفي بعض الأحيان عندما يذكرهم في الدروس العامة يقول: مع التحفظ على بعض المواقف عند هؤلاء المبتدعة، أو يقول: بغض النظر عمّا عند هؤلاء المبتدعة الذين يحترمهم هذا القائل ويشني عليهم، ويدافع عنهم لهم كلام مكتوب ومسجل فيه طعن في السنة، وتجهيل للصحابة، وغمز للنبي ﷺ، فما حكم هذا القائل؟ وهل يحذر من أقواله هذه؟

ج: لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم، ولو كان عندهم شيء من الحق؛ لأن مدحهم والثناء عليهم يروج بدعتهم ويجعل المبتدعة في صفوف المقتدى بهم من رجالات هذه الأمة.

والسلف حذرونا من الثقة بالمبتدعة، وعن الثناء عليهم، ومن مُجالستهم، وفيما كتب به أسد بن موسى: وإياك أن يكون لك من البدع أخ، أو جليس، أو صاحب، فإنه جاء الأثر: «من جالس صاحب بدعة؛ نُزعت منه العصمة، ووُكِلَ إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة؛ مشى إلى هدم الإسلام»^(١).

والمبتدعة يجب التحذير منهم، ويجب الابتعاد عنهم، ولو كان عندهم شيء من الحق، فإن غالب الضلال لا يخلون من شيء من الحق؛ ولكن ما دام عندهم ابتداع، وعندهم مخالقات، وعندهم أفكار

سيئة؛ فلا يجوز الثناء عليهم، ولا يجوز مدحهم، ولا يجوز التغاضي عن بدعتهم؛ لأن في هذا ترويحاً للبدعة، وتهويناً من أمر السنة، وبهذه الطريقة يظهر المبتدعة، ويكونون قادة للأمة - لا قدر الله - .
فالواجب: التحذير منهم.

وفي أئمة السنة الذين ليس عندهم ابتداع في كل عصر - ولله الحمد - فيهم الكفاية للأمة، وهم القدوة.

فالواجب: اتباع المستقيم على السنة الذي ليس عنده بدعة، وأما المبتدع فالواجب التحذير منه، والتشنيع عليه حتى يحذره الناس، وحتى ينقمع هو وأتباعه.

وأما كون عنده شيء من الحق؛ فهذا لا يبرر الثناء عليه أكثر من المصلحة، ومعلوم أن قاعدة الدين: «إن درء المفسد مقدم على جلب المصلح»^(١).

وفي معاداة المبتدع درء مفسدة عن الأمة ترجح على ما عنده من المصلحة المزعومة إن كانت، ولو أخذنا بهذا المبدأ لم يضل أحد، ولم يبدع أحد؛ لأنه ما من مبتدع إلا وعنده شيء من الحق، وعنده شيء من الالتزام.

المبتدع ليس كافراً محضاً، ولا مخالفاً للشريعة كلها؛ وإنما هو مبتدع في بعض الأمور، أو في غالب الأمور، وخصوصاً إذا كان

(١) انظر: الأشباه والنظائر للإمام السبكي (١/ ١٠٥).

الابتداع في العقيدة وفي المنهج فإن الأمر خطير؛ لأن هذا يصبح قدوة، ومن حينئذٍ تنتشر البدع في الأمة، وينشط المبتدعة في ترويج بدعهم. فهذا الذي يمدح المبتدعة، ويُشبهه على الناس بما عندهم من الحق، هذا أحد أمرين: إما جاهل بمنهج السلف وموقفهم من المبتدعة، وهذا الجاهل لا يجوز أن يتكلم، ولا يجوز للمسلمين أن يستمعوا له، وإما أنه مغرض؛ لأنه يعرف خطر البدعة ويعرف خطر المبتدعة؛ ولكنه مغرض يريد أن يروج للبدعة.

فعلى كل: هذا أمر خطير، وأمر لا يجوز التساهل في البدعة وأهلها مهما كانت.

س: سؤال عن التكفير بالمعاصي يتكون من عدة فقرات
 أولاً: هل يكفر المُجَاهِر بالمَعْصِيَةِ مثل: الغناء، أو الزنا، أو الربا؟
 ج: المَعاصِي على قسمين: كبائر، وصغائر.
 والكبائر على قسمين: كبائر مُخرِجة من الملة، وكبائر لا تُخرج من الملة.

فالكبائر المُخرِجة من الملة: كالشرك بالله ﷻ، والكفر بالله ﷻ، هذه كبائر مُخرِجة من الملة، ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وعبادة القبور، والذبح للقبور، والسحر تعلُّمه وتعليمه، وترك الصلاة متعمداً، ولو لم يَجِدْ وجوبها على الصحيح؛ فهذه كبائر مُخرِجة من الملة.

* وهناك كبائر دون ذلك وهي على قسمين :

١- كبائر اعتقادية .

٢- كبائر عملية .

* الكبائر الاعتقادية : مثل مقالة المُعتزلة ، والخوارج ، والأشاعرة ، وغيرهم ، مَن ينفون أسماء الله وصفاته ، أو ينفون أسماء الله دون الصفات ، أو ينفون بعض الصفات ، ويثبتون بعضًا ، فإن هذه كبائر وصاحبها فاسق فسقًا اعتقاديًا .

وأما النوع الثاني ، وهو الكبائر العملية : مثل شرب الخمر ، والزنا ، والسرقة ، وقتل النفس بغير حق ، ومثل قذف المُحصنات ؛ هذه كبائر عملية يفسق صاحبها فسقًا عمليًا ، ولا يخرج من الملة ، فالكبائر الاعتقادية التي دون الشرك والكبائر العملية أيضًا كلها يفسق صاحبها ؛ والنوع الأول أشد من الثاني .

الذي عنده فسق اعتقادي أشد من الذي عنده فسق عملي ؛ ولكن كل من الفاسقين لا يخرج من الملة إلا في حالة ما إذا كان الفاسق الاعتقادي يدعو إلى بدعته وينادي عليها ؛ هذا يُكفره السلف كما كفروا دعاء الجهمية ، ودعاة المعتزلة الذين يدعون إلى هذه المذاهب ، أما مُجرد أنه يعتنقها من غير أن يدعو إليها ظنًا صوابًا ، وغُربًا بمن قال بها ؛ فهذا لا يكفر ؛ ولكنه يضلُّ يقال : إنه ضال وفاسق فسقًا اعتقاديًا .

إذن لا يخرج من الملة إلا الكبائر الكفرية الشريكية كما قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

والله ﷻ أوجب الحد على شارب الخمر، والسارق، والزاني، ولو كانوا كفاراً لأمر بقتلهم، لإقامة الحدود عليهم دليل على إسلامهم، والله تعالى جعل المتقاتلين إخوة في الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ . . . إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فسمى القاتل مؤمناً وأخاً للمقتول، وأمر بالإصلاح بين المتقاتلين واعتبرهم من المؤمنين: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ . دل ذلك على أن الكبيرة التي دون الشرك لا تخرج من الملة؛ ولكن يحكم على صاحبها بالفسق كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

فسماهم فاسقين، وأمر برد شهادتهم إلا أن يتوبوا إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

* الفقرة الثانية من السؤال:

س: هل يكفر المستخف بهذه المعاصي بحيث لم يصرح باستحلالها وإنما يستخف بها، ويقع فيها مع علمه بحرمتها؟

ج: إذا كان يعتقد حرمتها؛ فإنه لا يكفر، وأما استخفافه بها فهذا دليل على ضعف إيمانه، ولا يدل على كفره ما دام أنه يعتقد أنها حرام.

* الفقرة الثالثة من السؤال:

س: يقول السائل: هل الإصرار على الكبيرة وعدم التوبة منها

يَجْعَلُهَا كُفْرًا مُخْرَجًا مِنَ الْمِلَّةِ؟ أَمْ أَنْ صَاحِبِهَا يَشْمَلُهُ الْوَعِيدُ، أَوْ يَدْخُلُ
تَحْتَ الْوَعِيدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَذْبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ؟

ج: الإصرار على الكبيرة التي هي دون الشرك لا يصير المَصِرُّ عليها
كافراً؛ لأنها ما دامت دون الشرك والكفر، فإنه يُعْتَبَرُ فَاسِقًا، وَلَا يَخْرُجُ
مِنَ الْمِلَّةِ وَلَوْ أَصْرَ عَلَيْهَا.

* الفقرة الرابعة من السؤال :

س: ما هي الضوابط التي ينبغي لطالب العلم أن يعرفها لكي يَحْكُمَ
على فلان من الناس بأنه مستحل للمعصية المُجْمَعِ على تحريمها بحيث
يكفر المستحل لهذه المعصية؟

ج: الضوابط التي تدل على استحلال المعصية أن يصرح الشخص
بأنها حلال إما بلسانه، وإما بقلمه، بأن يكتب بأنها حلال، أو يقول:
إنها حلال، وإما أن يشهد عليه شاهدان عدلان فأكثر بأنه يقول بحل
الزنا، أو بحل الخمر، أو الربا، أو ما أشبه ذلك؛ حينئذ يُحْكَمُ عليه
بالاستحلال إما بإقراره كلاميًا، أو كتابيًا، وإما بالشهادة عليه.

* * *

المصادر والمراجع

- ١- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار المعرفة بيروت، لبنان.
- ٢- الأشباه والنظائر، للإمام تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٣- الاعتصام، للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان (١٤٠٥هـ).
- ٤- المُستدرك على الصحيحين، أبي عبد الله الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٥- المُوطأ، للإمام مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية.
- ٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، دار الجيل بيروت، لبنان، (١-١٤٠٨هـ).
- ٧- جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (٢-١٤٠٢هـ).
- ٨- سنن ابن ماجه، مُحَمَّد بن يزيد القزويني، دار إحياء التراث الإسلامي.
- ٩- سنن أبي داود، أبي داود بن سليمان السجستاني، دار الريان للتراث، دار الحديث، (٨-١٤٠٨هـ).

- ١٠- سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، المَكْتَب الإسلامي،
إستانبول - تركيا.
- ١١- سنن الدارمي، عبد الله عبد الرَّحْمَن الدارمي السمرقندي دار
الريان للتراث، القاهرة ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
(ط١، ١٤٠٧هـ).
- ١٢- سنن النسائي، أَحْمَد بن شعيب النسائي، مكتبة المَطْبوعات
الإسلامية، حلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان (ط٣-
١٤٠٩هـ).
- ١٣- صحيح الإمام البخاري، مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البخاري، دار الباز
للنشر والتوزيع.
- ١٤- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار
الحديث، القاهرة (١٤٠٨هـ).
- ١٥- كتاب الباحث على إنكار البدع والحوادث، شهاب الدين أبي
عبد الرَّحْمَن، دار الراية، السعودية، الرياض، (ط١ - ١٤١٠هـ).
- ١٦- مسند الإمام أَحْمَد، أَحْمَد بن حنبل، دار مؤسسة قرطبة- دار
الراية.

الفئة الضالة

وعينها

الفئة الضالة ومنجمها^(١)

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ .

﴿ أما بعد : ﴾

حال العرب قبل الإسلام

لقد كان العالم قبل بعثة مُحَمَّدٍ ﷺ في ظلام دامس ، كانوا في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، اليهودية والنصرانية قد دخلها التحريف والوثنية ، وتبدل وتغير دين النبيين الكريمين : موسى وعيسى ﷺ ، وَلَمْ يَبْقَ من المُستقيمين منهم إلا قلائل من أهل الكتاب ، انقضوا قبل بعثة النبي ﷺ .

وكان العرب أيضًا من أسوأ الناس وضعًا ؛ فكانوا متفرقين من الناحية السياسية ، فليس لهم قيادة تجمعهم ؛ وإثما يحكمها الحكم القبلي ، وكل قبيلة لها رئيس ولها كيان ، كانوا يتناحرون فيما بينهم ، يُغير بعضهم على بعض ، ويستحلُّ بعضهم دماء بعض وأموالهم ، في

(١) مُحاضرة أُلقيت في مدينة الرياض -حي السويدي- جامع عبد الله بن سعود رَحِمَهُ اللهُ
بتاريخ الحُميس ١٥ / ١١ / ١٤٢٤ هـ .

غارات وثورات، وقتال، وسلب، ونهب؛ لأنهم ليس لهم جماعة تجمعهم، ولا إمام يلم شعثهم، وكانوا من الناحية الاقتصادية من أفقر الأمم، كانوا يعيشون على الرعي -رعي الإبل والأغنام- تصيبهم سنين الجذب؛ ففتلف أموالهم ويفتقرون.

كانوا من ناحية الحلال والحرام؛ لا يميزون بين حلال وحرام؛ وإنما يتمشون على العوايد؛ فكانوا يستحلون الميتات، ويأكلون -كما يقول أحدهم- ما هَبَّ ودرج من الحيوانات والحشرات، وكل ما درج على وجه الأرض؛ لا يعرفون حلالاً ولا حراماً، ولا طيباً ولا خبيثاً، هكذا كانوا من الناحية الاقتصادية.

ومن الناحية العائلية: كانوا يظلمون النساء، ويتزوجونهن بالإكراه، ويعضلون المولات ويتحكمون فيهن، ويتزوج الرجل العدد الكثير من النساء، ولا يعدل بينهن، كانوا يحرمونهن من الميراث، ويقولون: الميراث لا يكون إلا لمن ركب الخيل، وحمل السلاح؛ فيحرمون النساء والصبيان من الميراث.

وكانوا يخافون من الأولاد وكثرتهم، يخافون الفقر والعيلة؛ فكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

والإملاق: هو الفقر؛ فكانوا يقتلونهم خشية الفقر، وكانوا يقتلون البنات شر قتلة؛ لأنهم يزعمون أنهن يأتين بالعار على أهلهن؛

فيدفنونهن تحت التراب، وهنَّ حَيَّاتٌ؛ فرارًا من العار، كما قال الله -
 جل وعلا-: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يعني: هل يبقِيها حَيَّةً
 على هوان وذلة؟! ﴿أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾ يعني: يدفنها حَيَّةً وتموت تحت
 التراب: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [النكوير: ٨-٩].

والموءودة: هي البنت التي تُدفن وهي حَيَّة فتُتموت تحت التراب؛
 يفعلون هذا فرارًا من العار بزعمهم.

وفريق منهم: يقتلون أولادهم تقربًا إلى الأصنام والأوثان، قال
 تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَكَّيْنَا لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
 شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلَيْسَ لِسُوءِ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَدَخَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا
 رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وكانوا في الدين من أسوأ الأديان، كانوا يعبدون آلهة متعددة
 يعبدون الله -جل وعلا- بأنواع من العبادات؛ ولكن يشركون معه غيره
 من معبودات كثيرة؛ منهم من يعبد الأحجار، والأشجار، والشمس،
 والقمر، والملائكة، والأولياء، والصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾
 [يونس: ١٨].

فهم يعبدونهم في زعمهم أنهم يشفعون لهم عند الله في قضاء

حوائجهم ، يتوسطون بهم عند الله في قضاء حوائجهم ؛ هذه حالتهم الدينية ، وحالتهم السياسية ، وحالتهم الاقتصادية ، وحالتهم الأسرية ؛ فكان العالم يَغُطُّ في ظلام دامس .

بعثة الرسول

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إِلَى الْعَالَمِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ السُّنَّةَ ؛ فَقَامَ ﷺ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحِيدًا فِي عَالَمٍ مُتَلَاطِمٍ .

وتدرج في الدعوة ﷺ ، وَكَانَ يُسَلِّمُ مِنَ النَّاسِ الْأَفْرَادَ حَتَّى تَكُونُ حَوْلَهُ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ ، ثُمَّ زَادُوا ، ثُمَّ زَادُوا ؛ وَلَكِنْهُمْ يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ أَشَدَّ الْأَضْطِّهَادِ ؛ وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالَّذِينَ مَعَهُ صَبَرُوا عَلَى أذى الْكُفَّارِ وَتَحَمَّلُوا ، وَكَانُوا يَتَزَايِدُونَ ، وَيَزِيدُ ضَغْطُ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ ؛ يَرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ : ﴿ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُشَاقَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] .

هجرة الرسول والصحابة نصرة للدين

وفي النهاية ؛ هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة إلى إخوانهم الأنصار في المدينة ، فتكونت للإسلام دولة عظيمة من المهاجرين والأنصار ، وكثر المسلمون ، فصاروا يهددون الكفار في ديارهم وفي منازلهم .

فغزا رسول الله ﷺ الكفار بجيش الإسلام غزوات كثيرة وسرايا ؛

حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِفَتْحِ مَكَّةَ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، وَحَانَتْ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ خَلْفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ ؛ فَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ؛ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَبِالْجِهَادِ ، وَامْتَدَّتْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .

مثل المؤمنين في الصُّكْبِ السَّمَاوِيَّةِ

ضَرَبَ اللَّهُ لَذَلِكَ مَثَلًا بِقَوْلِهِ - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

الزُّرْعُ : هُوَ مَا يَنْبُتُ ضَعِيفًا ، قَصْبَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ هَذِهِ تَكْبَرُ ، ثُمَّ يَتَكُونُ حَوْلُهَا فِرَاحٌ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ تَتَمَرُّ ؛ هَذَا مَثَلُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ ﴾ يَعْنِي : فِرَاحَهُ .

﴿ فَآزَرَهُ ﴾ يَعْنِي : قَوَّاهُ .

﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ يَعْنِي : قَوَّى .

﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ . ارْتَفَعَ عَلَى سُوقِهِ ، وَعَلَى قَصْبِهِ ، وَتَكَامَلَ : ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ .

فَالَّذِي يَغْتَاطُ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ، وَمِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، كَافِرٌ بِدَلِيلِ

قوله: ﴿لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾.

وقد غاظ الله بهم الكفار، ولا يزال الكفار في غيظ من الإسلام ومن أهله.

دسائس النفاق والخروج على الأئمة

فلما رأى الكفار قوة الإسلام وانتصاراته وظهوره؛ أخذوا يدسون الدسائس على المسلمين، فظهرت دسيسة النفاق، وهي: إعلان الإسلام ظاهراً وإبطان الكفر؛ لأجل المكر والكيد للمسلمين، فظهر المنافقون لما قوي الإسلام، وصاروا يكدون للإسلام، وصاروا يستغلون الفرص من أجل النيل من الرسول ﷺ ومن أصحابه.

كما ذكر الله ذلك عنهم في القرآن في سورة «براءة» وفي غيرها، فخابوا، وخسروا، وانتصر الإسلام، وكشف الله سرائرهم، وفضح ضمائرهم، وأعلن نياتهم، فلم يصبحوا خفيين على الناس؛ بل افتضحوا والحمد لله.

أراد اليهود أن يدسوا على الإسلام دسيسة أخرى؛ فأسلم وأظهر الإسلام رجل يقال له: عبد الله بن سبأ اليهودي، فأرسلوه إلى المسلمين في المدينة، فجعل هذا اليهودي الخبيث يطعن في خلافة عثمان رضي الله عنه، ويجتمع حوله بعض الشباب وبعض الأوباش.

وصار يتنقل من بلد إلى بلد، وإذا فُطِنَ له هرب إلى بلد آخر؛ فاجتمع حوله من أوباش الناس، ومن الطغمة والجُهل، فجاءوا

وحاصروا عثمان رضي الله عنه، فقتلوه في بيته، يظنون أنهم بذلك يقضون على الإسلام، فقتلوا عثمان رضي الله عنه مظلوماً شهيداً؛ فقام بالأمر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة الرابع.

فهم لا يزالون على شرهم، اندسوا بين المسلمين، وصاروا يوقدون الفتنة؛ فظهرت فرقة الخوارج، وكفروا علياً رضي الله عنه، وكفروا أكابر الصحابة، وقتلوا علياً رضي الله عنه، وقتلوا الزبير بن العوام، وقتلوا طلحة بن عبيد الله، وقتلوا من الصحابة من قتلوا، أولئك هم الخوارج، نجموا عن فتنة عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث؛ ولكن لم يضرُوا الإسلام، ولله الحمد.

تأمر الخوارج لقتل علي بن أبي طالب

تأمر الخوارج على علي رضي الله عنه وقتلوه؛ بعدما قتلهم ودحروا شوكتهم في وقعة النهروان، فإنه قتل منهم مقتلة عظيمة، وذلك مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من ظهورهم، وأن الله -جل وعلا- يسلط عليهم المسلمين، وقتلهم رضي الله عنه شر قتلة، ودحروا شوكتهم، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(١).

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٥٧) كتاب فضائل القرآن، باب: إنهم من رآي بقراءة القرآن، أو تأكل به أو فجر به، ولفظه: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». رواه مسلم في صحيحه، برقم (٢٤٦٢) كتاب الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو جزء من حديث أوله: «يأتي في آخر الزمان». إلخ الحديث.

وقوله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(١). فقتلوه، وظنوا أنهم بذلك يقضون على الدين والإسلام، ويفرقون المسلمين؛ ولكنهم - والحمد لله - خابوا وخسروا، الإسلام ما زال في عز.

خلافة معاوية وموقفه من الخوارج

آل الأمر إلى معاوية رضي الله عنه، فقاد المسلمين قيادة حكيمة، واجتمع الناس حوله، وسد الطريق على هؤلاء، فسُمي عام تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه له بعام الجماعة؛ لاجتماع المسلمين، وقوة المسلمين، فلم يفلح هؤلاء الخوارج ومن وراءهم من أعداء الدين؛ لكن فتنة الخوارج لا تزال تتوقد فترة بعد أخرى؛ لأن أعداء الإسلام يوقدونها في كل وقت.

فاليهود والنصارى والكفار يستغلون شباب المسلمين الذين فيهم الحماس، وفيهم الغيرة؛ فيوقدون فيهم هذه الغيرة، وهذا الحماس، حتى يخرجوا إلى الغلو والتطرف، ويصبحوا حربة في نحر آبائهم، وأمهاتهم، وإخوانهم المسلمين.

ومن ذلك: ما نشاهده الآن من هذه الفتنة الضالة التي خرجت على

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، برقم (٤٣٥١) كتاب المغازي، باب: بعث علي ابن أبي طالب وخالد ابن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع، رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٤١٥) كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم من حديث أبي سعيد الخدري أوله: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها... إلخ.

المسلمين تفجر المباني، وتقتل وتحصد الأرواح من المسلمين، والمُعاهدين، وتتلِف الأموال، وتروّع الآمنين، وهذا امتداد لتاريخ الخوارج، ومن ورائهم اليهود الذين أنبتوهم في الأول، وسقوهم ودسوهم، هم الذين يُحرِّكونهم الآن بأيدي خفية، ومنظمات سرية، يريدون بذلك الطعن في الإسلام، والكيد للمسلمين؛ ولكن يَأْبَى الله - جل وعلا - إلا أن يُتَمَّ نوره.

فهذه الفئة مَخْذولة، ولله الحمد على مدار التاريخ، ما نجحوا في قضية، ولا انتصروا في معركة؛ وإنَّما هم دائماً يَنخِذلون ويذلون، ويُقْضَى على قوتهم على مدار التاريخ.

ولا نستغرب ما يَحْصُل الآن؛ إذا قرأنا التاريخ، ورجعنا إلى أصول هذه الفئة الضالة؛ فإنَّها مُمتدة من سلسلة قديمة يغذيها اليهود، ومن شايِعهم من النصارى وغيرهم؛ ليقضوا بها على الإسلام، وليصدوا عن سبيل الله.

ولكن الإسلام ولله الحمد، يأخذ طريقه إلى النفوس، ويأخذ طريقه إلى الناس، ولا أحد يستطيع أن يقف في وجهه ولله الحمد والمنَّة.

آثار الاختلاف مع ولاية الأمر

هذا الذي يَحْصُل هو نتيجة الاختلاف، فهؤلاء اختلفوا مع ولاية أمورهم، واختلفوا مع مُجْتَمِعهم، وانحازوا إلى المشبوهين، واعتنقوا الأفكار الخبيثة؛ يظنونها حقاً، ويظنونها جهاداً، ويظنونها أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وهي في الحقيقة هي المنكر العظيم.

والجِهَاد إنما يكون في دحرها ؛ كما دحرها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام والصحابة بأمر الرسول ﷺ فهو الذي أمر بقتالهم ، وقتلهم وإنهائهم .

الرسول هو الذي أمر بهذا ، قال : «أينما وجدتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(١) .

فالجِهَاد إنما هو في قتالهم ، وكف شرهم عن المسلمين ، فهذا حصل نتيجة لأن طائفة من شباب المسلمين اتخذوا بهذه الأفكار ، ولقنوا أن مُجتمعهم كافر ، وأن ولاية أمورهم كفار ، وأن الناس غيروا دين الإسلام ، خدعواهم بهذه الشُّبه ، وعقولهم لم تنضج بعد كما وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم : «حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام»^(٢) .

فعششت هذه الأفكار في أدمغتهم ، لَمَّا عُسِلَت أولاً من العلم الصحيح ، وفُصلوا عن مُجتمعهم ، وعن علمائهم ، ولقنوا هذه الأفكار ؛ فصعب اقتلاعها منهم ، هذا نتيجة الاختلاف ، ومعصية ولي الأمر ، ولي أمر المسلمين ، والله - جل وعلا - أمرنا بالاجتماع .

(١) تقدم قبل قليل .

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٥٧) كتاب فضائل القرآن ، باب : إثم من رآى بقراءة القرآن أو تأكل به ، أو فجر به ، من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو جزء من حديث أوله : «يأتي في آخر الزمان . . . إلخ الحديث .

الأمر بالاجتماع والاعتصام بحبل الله

• صلاة الجماعة ووحدة المسلمين :

قال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٠٣].

فالاجتماع على الحق، والتعاون على البر والتقوى، هو الوسيلة لنصرة الإسلام والمسلمين، وقمع كيد الكائدين، وهذا لا يتم إلا بطاعة ولادة أمور المسلمين؛ ولهذا حث النبي ﷺ على السمع والطاعة لولاة الأمور عند الاختلاف.

وعظ ﷺ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقالوا: «يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع فأوصنا» قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٧) كتاب السنة، باب: لزوم الجماعة، ورواه الترمذي في سننه برقم (٢٦٧٨) كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع، ورواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢، ٤٣) المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٧١٨٢)، (١٧١٨٤)، ورواه الدارمي في سننه برقم (٩٥) المقدمة، باب: اتباع السنة من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

فأمر بالتمسك بأمرين عند هذه الاختلافات .

الأمر الأول : طاعة ولي أمر المسلمين ، وعدم الخروج عليه .

الأمر الثاني : التمسك بسنة الرسول ﷺ ، وترك الذهاب إلى الآراء والأفكار والنحل التي تُدس بين حين وآخر على المسلمين ، عندنا السنة النبوية قال ﷺ : «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١) .

فالتفرق يُحسَم بالاجتماع على طاعة ولي أمر المسلمين ، والاختلاف يُحسَم بالرجوع إلى سنة الرسول ﷺ لا إلى رأي فلان وقول علان ، فإن سنة الرسول ﷺ معصومة لا يتطرق إليها الخطأ .

كما أن القرآن أيضاً لا يتطرق إليه خطأ : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] .

والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] . فالاعتصام بالكتاب والسنة هما النجاة من الفتن ، والأفكار المنحرفة الضالة .

والله - جل وعلا - يقول : ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] .

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٣) المقدمة ، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهيدين ، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤) ، برقم (١٧١٨٢) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

فلو أن هؤلاء الذين بُسَّ عليهم الأمر رجعوا إلى علمائهم ورجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ؛ لما توغل فيهم هذا الفكر المنحرف ؛ ولكنهم بالعكس اغتروا بهذه الأفكار ، وظنوها حقاً ، واستنصحوها الخائنين ، وتركوا الأمناء ، فصار مصيرهم كما ترون وكما تسمعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إننا لا نستغرب إذا حصل هذا في بلاد الكفار ، ومن شباب الكفار مع دولهم ففيها الإرهاب ، وفيها التخريب ؛ لكن لا نستغرب هذا ؛ لأنهم ليسوا على دين ، وليس لهم مرجع يرجعون إليه من كتاب الله وسنة رسوله .

أما المسلمون فيُستغرب منهم هذا ، وبينهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، عندهم العلماء الربانيون الذين يَدُلُّون على الخير ، ويرجعون الأمور إلى مراجعها الصحيحة ، كما قال الله - جل وعلا - : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] .

فيجب أن يُرجع إلى أهل العلم ، لأن أولي الأمر هم الولاة والعلماء يرجع إليهم ؛ الولاة من ناحية السياسة ، والعلماء من ناحية المسائل الفقهية والعلمية ؛ فيرجع إليهم فهم ينهون المُشكلات بإذن الله : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

والرد إلى الرسول بعد وفاته ﷺ هو الرد إلى سنته ، كما قال ﷺ :

«عليكم بستي، وسنة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين من بعدي»^(١).

ولو أن هؤلاء الشباب - هداهم الله، وردهم إلى الصواب -، لو أنهم رجعوا إلى علمائهم، وإلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وأخذوا بما يرشد إليه علماءهم أخذًا من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ؛ لرجعوا إلى الجادة الصحيحة، دين الإسلام، دين الاجتماع في كل الأحوال.

في العبادات أمر الله بالاجتماع: فأمر الله - جل وعلا - بصلاة الجماعة في الفرائض خلف إمام واحد، ونهى النبي ﷺ عن ترك صلاة الجماعة، وحث على صلاة الجماعة من أجل أن يتعود المسلم على الاجتماع مع إخوانه والائتلاف، يتربى على طاعة القيادة الإسلامية.

المسلمون جسد واحد، وبنیان واحد، فصلاة الجماعة فيها تربية للشباب ولغيرهم على الاجتماع والائتلاف، وإذا تكرر هذا في اليوم واللييلة خمس مرات أثر هذا في سلوكهم، وفي أخلاقهم، وفي تفكيرهم، وسأل بعضهم بعضًا، وتألفوا وتعاونوا.

أما لو صلى كل واحد منفردًا، أو هرب عن المساجد، فإن الشياطين تقتنصه، قال ﷺ: «عليكم بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(٢).

(١) تقدم في (ص ١٨٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه، برقم (٥٤٧) كتاب الصلاة، باب: في التشديد في ترك الجماعة، ورواه النسائي في سننه، برقم (٨٤٧) كتاب الإمامة، باب: التشديد في ترك الجماعة، ورواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (٢٧٥٥٤)، كلهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

ولهذا تجد هؤلاء الضالين المنحرفين يفرون من المساجد، حتى اعترفوا أنهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، يفرون من المجتمع ومن المساجد، وهذه نتيجة نفورهم من المساجد، ومن الالتقاء بالمسلمين، واستماع الدروس والمحاضرات، وتلقي العلم في بيوت الله ﷻ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ﴾ [النور: ٣٦].

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

هؤلاء يفرون من المساجد إلى السرايب المظلمة، وإلى الكهوف البعيدة، وينفرون من الاجتماع بأهل الإيمان وأهل العلم، إلى الاجتماع بأهل الزيغ، وأهل الضلال، وأهل الأفكار المنحرفة، وهذه هي النتيجة، وهذا هو الحصاد.

• الرجوع إلى الله والرسول عند الاختلاف :

وكذلك من أسباب الاجتماع : طاعة ولي أمر المسلمين ، قال الله - جل وعلا- : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم (٦٨٥٣) كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأوله: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا... الحديث».

حصول النزاع والاختلاف لا بد منه ؛ لكن يُحسم هذا بالرجوع إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله ، ويكون هذا على أيدي أهل العلم العارفين بكتاب الله وسنة رسوله ، يرجع إليهم في حل النزاع على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] .

فالمؤمن يرجع إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسوله ، ويأخذ ما دلَّ عليه الدليل الصحيح ، هذا المؤمن ، أما غير المؤمن ؛ فإنه لا يرجع إلى الكتاب والسنة ؛ وإنما يرجع إلى هواه ، ويرجع إلى ذوقه ، ويرجع إلى أهل الضلال ، لا يرجع إلى العلماء ؛ وإنما يرجع إلى أنظمة الأحزاب والجماعات ، ولا يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أسباب انحراف الفئات الضالة

هذه أسباب انحراف هذه الفئة الضالة ، أنها تركت الوصايا الإلهية ، وصايا الله ، ووصايا رسوله ﷺ ، فانعزلوا ، وانخدلوا ، وانحازوا ، إلى أعدائهم ، هذا من العجائب ، أنك تنحاز إلى عدوك وأنت مسلم .

المسلم يكون مع المسلمين : ﴿ بَنَاتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

أما أن تنحاز إلى عدوك الخداع الماكر الذي هو ضدك وتستنصحه ؛ فهذا من عمى البصيرة ومن الخُذلان .

ثم قال - جل وعلا - : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ . الرجوع إلى كتاب الله وسنة

رسوله، طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة وليّ الأمر خير، خير من مُخالفة الكتاب والسنة، ومن معصية ولاية أمور المسلمين: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. أحسن مآلاً وعاقبة على المسلمين؛ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولاية المسلمين تتول إلى خير وإلى عاقبة حميدة.

مآل من عصى الله ورسوله

أما معصية الله، ومعصية رسوله، ومعصية ولاية أمور المسلمين؛ فإنّها شر مآلاً وشر عاقبة، -والعياذ بالله-، وهذا مُجرب على مدار التاريخ، كما أخبر بذلك كتاب الله وسنة رسوله.

فهو مُجرب وواقع على مدار التاريخ؛ فما من فرقة ضلت وانحرفت وصالت وجالت إلا آل أمرها إلى البوار والخسار.

وما من فرقة اعتصمت بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ إلا آل أمرها إلى خير وإلى هداية؛ فإن النبي ﷺ يقول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي»^(١).

ولما سأل حذيفة رسول الله ﷺ عند ظهور الفتن، ماذا يعمل إذا ظهرت الفتن وظهرت الاختلافات والتناحر الذي أخبر عنه النبي ﷺ ماذا يعمل؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم». قال: فإن لم يكن

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ (٨٩٩/٢)، كتاب القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، ورواه الحاكم في مستدركه (٩٣/١) كتاب العلم، خطبته ﷺ في حجة الوداع بألفاظ، وانظر صحيح مسلم برقم (٢٩٥٠).

لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتّى يأتيك الموت وأنت على ذلك»^(١).

هذه وصية الرسول ﷺ عند الفتن والاختلافات أننا نلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين حتّى نسلم من الشرور والفتن ودعاة الضلال، والنبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر، قال ﷺ: «وإن تأمر عبد حبشي؛ لأنه ليس النظر إلى شخصه؛ وإنّما النظر إلى منصبه، ومنصبه خلافة إمامة للمسلمين، فتجب طاعته، ولو كان منظره لا يعجب الأنظار؛ فالعبرة ليست بالمظاهر، العبرة بالحقائق.

طاعة ولاية الأمر ومناصحتهم

ولي الأمر لا يشترط فيه أن يكون كاملاً، يكون عنده أخطاء، ويكون عنده شيء من المخالفات؛ لكن يُطاع ولو كان فاسقاً، وإن كان عنده مخالفات لا تصل إلى حد الكفر، فإنّها تجب طاعته مع المناصحة له.

وأما الخروج عليه بحجة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذا هو المنكر، لماذا؟ لأنه يترتب على الخروج مفسد عظيمة؛ من سفك الدماء، وتفرق الكلمة، وتسلب الأعداء.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٧٠٨٤) كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ورواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٤٧٨٤) كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

فالصبر على ما عند ولاية الأمور من النقص أسهل ممَّا يحصل بالخروج عليهم من المَفسد، ومعلوم أن ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما مطلوب في الإسلام؛ أمرنا بالصبر على جور الولاية، وأمرنا بطاعتهم، ولو حصل عندهم شيء من المخالفات؛ ما لَمْ يصل إلى حد الكفر، «إلا أن تروا كفرًا بواحدًا»^(١).

قال ﷺ: «مَنْ خرج من الطاعة، وفارق الجماعة؛ فمات فميته جاهلية»^(٢).

وفي رواية: «فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»^(٣). خلع ربة الإسلام من عنقه، كان في الأول مربوطًا مع جماعة المسلمين مثل البهائم التي تربط بالأربطة وتعقل لثلا تضع أو تسرق.

فإذا خرج عن الجماعة انحَل رباطه، وتعرض للضياع، تعرض للسرقة، أما ما دام مرتبطًا بالرباط الإسلامي، فإنه أضمن لبقائه وحفظه.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٧٠٥٦) كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها». من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٤٧٨٦) كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتَحريم الخروج من الطاعة، ومفارقة الجماعة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٨٦٧) أبواب الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصلاة، والصيام، والصدقة، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٠/٤)، برقم (١٧٢٠٩) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وأول الحديث: «إن الله أمر يحيى ابن زكريا بخمس كلمات... الحديث.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يفرق جماعتكم، فاقتلوه»^(١). فيجب أن نكون يدًا واحدة مع ولاة أمورنا، ومع رجال الأمن ضد هذه الشرذمة الضالة، حتَّى يسلم المجتمع المسلم من شرهم، ويرتد كيدهم في نُحورهم.

فالمسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ١٢]. فيجب أن نتعاون، وأن نتناصح، وأن ندرأ الشر عن المسلمين.

الأمن لمن هو؟ الأمن لي ولك ولفلان وفلان، أنت نائم على فراشك، وولاة الأمور، ورجال الأمن يدافعون، ويسهرون الليل، وأنت نائم على فراشك؛ إذن الأمن ليس لولاة الأمور؟ ففكر في هذا، فإن الاعتداء على ولاة الأمور، وعلى رجال الأمن اعتداء عليك، وعلى محارمك، وعلى بيتك؛ فعلينا أن نفكر في هذه الأمور.

كيفية علاج الفئة الضالة

العلاج لهذه الفئة الضالة أن يتحاور معهم برد شبهاتهم، ربَّما يكون عند بعضهم اشتباه يظن أنه على حق؛ فيبين له ويتناصح إذا أمكن ذلك لعلهم يرجعون.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٤٧٩٨) كتاب الإمامة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين، وهو مُجتمع من حديث عرفة رضي الله عنه.

وأمر المؤمنين علي عليه السلام لَمْ يقاتل الخوارج في النهروان، حتَّى أرسل إليهم ابن عمه حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فناظر الخوارج، وجادلهم، ورد شبهاتهم، ورجع منهم عدد كثير إلى الصواب.

فيجب التفاوض مع هؤلاء الذين فيهم بقية من إرادة الحق، أما الذين استعصى عليهم الأمر، وعميت بصائرهم فلا حيلة فيهم، فلا بد من بترهم، لكن من يريد الحق، فإنه يبين له، الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾. فنكون مع ولاة أمورنا في قتال هؤلاء، ودفع شر هؤلاء، إذا لَمْ يستجيبوا للصالح، وَلَمْ يستجيبوا للحق، وهذا جهاد في سبيل الله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ﴾. يعني: رجعت. ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ① إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

علينا أن نحفظ أولادنا، نأخذ عيرة ممَّا حصل، كفى الإهمال، كفى التسبب، علينا أن نأخذ بأولادنا من الضياع، ونربيهم على الخير، وعلى الاجتماع، وعلى تعلم العلم النافع، ولا نتركهم يذهبون إلى هذه التجمعات المشبوهة، والخلوات الضالة، والأفكار المنحرفة، علينا

أن نحفظ بأولادنا، وأن نتعاون على حفظهم، وألا ندعهم فريسة لهذه الأفكار، ولَهؤلاء المُضِلِّين.

النَّبِيُّ ﷺ يقول: «إنَّما أخاف على أمتي الأئمة المُضِلِّين»^(١).
ويخشى على أمته من منافق عليم اللسان يُجادل بالقرآن.

شبهات أهل الضلال

هؤلاء لهم حجج يظنها الجاهل أنها حق، وهي سراب إذا قابلت النور، فهي سراب يضمحل، وهي دخان يتفرق، فإذا قوبلت بالحق ضاعت وزهبت؛ لأنها شبهات، وليست أدلة، ولا حُجَجًا؛ وإنما هي شبهات.

والشبهات تُعالج بالأدلة على يد علماء المسلمين، وعلى يد العقلاء علينا أن نحفظ أولادنا من هذا التسبب، وهذا الضياع والالتخداع؛ لأنَّهم خدعوا شباب المسلمين في الفترات المَاضِيَّة، تحت مظلة العمل للإسلام، تحت مظلة الجهاد، وتحت مظلة العودة إلى الصحوة الإسلامية؛ خدعوا الشباب بهذه المُسميات.

(١) رواه الترمذي في سننه، برقم (٢٢٣٠) أبواب الفتن، باب: ما جاء في الأئمة المُضِلِّين، ورواه أبو داود في سننه، برقم (٤٢٥٢) كتاب الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، ورواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٩٥٢)، كتاب الفتن، باب: ما يكون من الفتن، ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٥٠٥، ٢٨٤/٥)، ورواه الدارمي في سننه (٨٠/١)، برقم (١٠٩) المُقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، كلهم من حديث ثوبان رضي الله عنه.

فعلينا أن ننتبه لأولادنا، وأن نأخذ بأيديهم، وأن نحذر من هذه الفئات الضالة، ومن مصائد الشيطان، شياطين الإنس والجن، علينا أن نحفظ بهم.

علينا أن نحذر من هذا الفكر الذي يتخلل بين المسلمين؛ ويقتنص الجهال والأغرار والشباب، علينا أن نسد الطريق عليه وننتبه له، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ويقول -جل وعلا-: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. فلا يتقابل حق وباطل إلا وينهزم الباطل؛ لكن الشأن في الذي يقوم بالحق، مَنْ هو؟

الذي يقوم بالحق: هم علماء الأمة، وعقلاؤها الذين يُجادلون بالحكمة، ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، هذا هو سبيل النجاة بإذن الله.

ونسأل الله ﷻ أن يهدي ضال المسلمين، وأن يردهم إلى الصواب، وأن يصلح شباب المسلمين، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا، فنفضل، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين من: اليهود، والنصارى، وسائر الكفرة، والمُشركين، والمُنافقين، والمُرتدين، والمُلاحدين.

اللهم شتت شملهم، وخالف بين كلمتهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم، اللهم كُف عنا بأس الذين كفروا، فأنت أشد بأسًا وأشد

تنكيلاً ، اللهم كف عنا طغيانهم ، وبغيهم ، وعدوانهم ، واجعل ذلك في
نُحورهم ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم أصلح ولاية أمورنا ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى
آله وصحبه .

المصادر والمراجع

- ١- صحيح الإمام البخاري، دار السلام - الرياض - السعودية، ط ٢- ١٤١٩هـ.
- ٢- صحيح الإمام مسلم، دار السلام - الرياض - السعودية، ط ١- ١٤١٩هـ.
- ٣- سنن أبي داود، دار الريان للتراث، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ.
- ٤- سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي . ١٣٩٥هـ.
- ٥- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة - مصر - الهرم، ودار الراية- الرياض - السعودية.
- ٦- سنن الدارمي - دار الريان - القاهرة، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١- ١٤٠٧هـ.
- ٧- سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٣ - ١٤٠٩هـ.
- ٨- موطأ الإمام مالك، دار إحياء الكتب العربية.
- ٩- مستدرك الحاكم - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ١٠- سنن الترمذي، المكتبة الإسلامية - إستانبول - تركيا.

الاستهزاء بالظالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ .

يقول الله ﷻ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣] .

ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

ويقول ﷻ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] .

فالدين هو دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله مُحَمَّدًا ﷺ ، وهو دين عام لجميع البشرية ، وعام لجميع الزمان إلى أن تقوم الساعة منذ بعثته ﷺ ، والأديان التي قبل الإسلام التي جاءت بها الرسل أيضًا هي أديان صحيحة وهي دين الله ﷻ ، ولكن دين الإسلام جاء ناسخًا لها ، ووجب على كل أهل الأرض أن يعتنقوه وأن يدخلوا فيه ؛ لأنه هو الدين الباقي .

أما الأديان السابقة فقد نسخت بهذا الدين ، فمن بقي على الأديان السابقة لم يكن مؤمناً بالله ولا برسله ولم يكن على دين ؛ لأنه على دين قد نُسَخ ، والدين المنسوخ لا يجوز البقاء عليه ، ولا يكون طاعة الله ﷻ بعد نسخه ، إنَّما يكون طاعة الله قبل نسخه .

أما إذا نُسَخ فقد انتهى العمل به ويجب الرجوع إلى الدين الناسخ وهو الإسلام ، سواء في ذلك اليهود والنصارى أو غيرهم من بقية الكفرة وسائر أهل الأرض ، لا يسع أحداً إلا الدخول في هذا الدين - دين الإسلام - الذي قال فيه الرسول ﷺ لَمَّا قال له جبريل : أخبرني عن الإسلام؟ قال : «أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن مُحَمَّدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتَحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً»^(١) .

وهذه الأمور الخمسة - الشهادتان ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام - هي أركان الإسلام التي يقوم عليها كما قال ﷺ : «بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن مُحَمَّدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام»^(٢) .

وهناك واجبات وهناك طاعات كلها مكملات لهذه الخمسة ؛ هذه الخمسة هي الأركان التي يقوم عليها بناء الإسلام ، هي أعمدته التي

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١/٣٦ ، ٣٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١/٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

يُبنى عليها، وبقية الطاعات من واجبات ومستحبات إنَّمَا هي مكملات ومتممات لهذا الدين، فهذا الدين كله خير وكله نعمة؛ لأن الله سَمَّاهُ نعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

وشهد الله بأنه دين كامل؛ بمعنى: أنه ليس فيه نقص وأنه وافٍ لكل ما يحتاجه العباد في دنياهم وفي آخرتهم ممَّا فيه صلاحهم وخيرهم ونجاتهم وسعادتهم عند الله ﷻ، فهذا الدين كفيل لمن تَمَسَّك به وسار عليه، كفيل بأن يسعد في الدنيا والآخرة.

أما من أعرض عنه ولم يدخل فيه، أو دخل فيه ولكنه ضيع بعضه وتَمَسَّك ببعضه، فالذي لَمْ يدخل فيه أصلاً، يكون كافرًا من أهل النار خالداً مُخلداً فيها، والذي دخل فيه ولكنه انتقص منه شيئاً؛ فهذا يكون دينه ناقصاً بحسب ما انتقص منه، قد لا يكون له دين إذا كان النقص يتناقى مع أصل الدين.

فالذي لا يصلي مثلاً ليس عنده دين؛ لأنه ضيع عمود الإسلام. وكذلك الذي يشرك بالله ﷻ ليس عنده دين؛ لأن الشرك يناقض الإسلام وينافيه.

وكذلك الذي يرتكب أي ناقض من نواقض الإسلام وأسباب الردة فإنه يخرج من هذا الدين ويكون كافرًا مرتدًّا ولو كان يصلي ويصوم ويحج؛ ما دام أنه لَمْ يتب من هذا الناقض الذي ارتكبه، فإن هذا الناقض يفسد عليه دينه ويبقى يعمل على غير دين وعلى غير هدى.

أما الذي يكون قد صدر منه خطأ أو نقص في دينه لكنه لا يصل إلى

حدّ الردة كالعصاة مثلاً ؛ فهذا لا يخرج من الدين ، لكن يكون دينه ناقصاً ويكون مُعرّضاً للعقوبة ومُعرّضاً لدخول النار ، فالخطر شديد في هذا ، لكن إذا كانت المُخالفة تُخرج من الدين فإن خطرهما مُحقق ؛ لأن الإنسان قد يفعل الطاعات ويظن أنه على دين وهو ليس على دين بسبب أنه مقيم على ناقض من نواقض الإسلام لم يتب منه ، ومن هذه النواقض : الاستهزاء بالدين .

فالإنسان - ولو كان يصلي ويصوم ويعمل الطاعات - لو استهزأ بالدين ولو بكلمة واحدة أو مرة واحدة ؛ فإنه يخرج من هذا الدين ويكون مرتدّاً ، ويَجِب عليه التوبة إلى الله ﷻ والدخول في الدين من جديد ، وإن استمر ولم يتب فإنه يكون على غير دين .

والدليل على ذلك : قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

وهؤلاء طائفة كانوا من المؤمنين استهزءوا بالرسول ﷺ والصحابة واستهزءوا بهذا الدين ؛ فنزل الوحي على رسول الله ﷺ يُخبرهم بأنهم ارتدوا عن دين الإسلام بسبب ما قالوه ، فجاءوا يعتذرون إلى الرسول ﷺ ، ويقولون : إِنَّمَا تَكَلَّمْنَا مِنْ بَابِ الْمَزْحِ لَمْ نَرِدِ الْاسْتِهْزَاءَ بِالدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا الْمَزْحَ وَاللَّعِبَ ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

جاءوا يعتذرون ويقولون : يا رسول الله ، إِنَّمَا تَكَلَّمْنَا بِهَذَا الْكَلَامِ مِنْ أَجْلِ الْمَزْحِ وَمِنْ أَجْلِ اللَّعِبِ وَالتَّرْفِيهِ عَنْ أَنْفُسِنَا ، مَا قَصَدْنَا

الاستهزاء بهذا الدين، والرسول ﷺ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ هَذَا الْإِعْتِذَارَ وَإِنَّمَا أَجَابَهُمْ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُمْ كَنُتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ. لَمْ يَزِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الَّذِي جَاءَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنَّهُ يَتْلُو عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ: ﴿قُلْ أَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُمْ كَنُتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ.

الخطر شديد؛ لأن بعض الناس - خصوصاً الجُهاال - قد يأخذهم المَزْح واللَّعِبُ فيما بينهم؛ فيتناولون هذا الدين أو المتدين بشيء من السخرية أو التنقص، أو يقولون: هذا دين به شدة، أو هذا دين قاسٍ، أو ما أشبه ذلك، فمن قال هذا الكلام أو أمثاله؛ فإنه يكون مرتدًا عن الإسلام ولو كان يصلي الليل والنهار ويصوم كل الدهر.

إذا صدر منه كلام من هذا كالسخرية بالدين، والتنقص للدين؛ فإنه يكون كافرًا مرتدًا إِنْ لَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَحِيحَةً، فإنه يعيش على غير الإسلام.

ومن ذلك: أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ أَوْ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ، أَوْ أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِالصَّلَاةِ، أَوْ يَسْتَهْزِئَ بِالزَّكَاةِ، أَوْ بِالصِّيَامِ، أَوْ بِالْحَجِّ، أَوْ يَسْتَهْزِئَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ كَأَنْ يَسْتَهْزِئَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مثل: السَّوَاكِ، ومثل إِعْفَاءِ اللَّحَى وإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ، ومثل سَائِرِ الطَّاعَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الطَّاعَاتُ مِنَ الْمُسْتَحْبَاتِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْوَاجِبَاتِ؛ إِذَا اسْتَهْزَأَ بِهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ اسْتَهْزَأَ بِدِينِ اللَّهِ ﷻ.

والله ذكر عن المنافقين أَنَّهُمْ كانوا يستهزءون، كما قال ﷺ: ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَى شُكَطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]. يعني: إذا ذهب المنافقون الذين يدعون الإسلام، إذا ذهبوا إِلَى الكفار وإلى اليهود وغيرهم: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. يقولون: إِنَّمَا دخلنا في الإسلام من أجل الاستهزاء لا من أجل الحقيقة، وإلَّا فنحن معكم أيها الكفار، نحن معكم على دينكم، ولكننا خدعنا مُحَمَّدًا وأصحابه؛ فأظهرنا الإسلام ونحن غير صادقين في ذلك لنخدعهم.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]. هذه عقوبة لهم، فمعنى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. يعني: يُجازيهم على استهزائهم، فإن الله ﷻ يستهزئ بهم، ويحتقرهم، ويهينهم، ويعذبهم.

وفي يوم القيامة إذا طمعوا في النجاة بسبب أَنَّهُمْ يُعْطُونَ شيئًا من الطمع في النجاة مع المسلمين ثُمَّ يسلب ذلك منهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]. حين يكون المؤمنون في نور كما قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: ٨]. يكونون في نور، ويكون الكفار في ظلمة -والعياذ بالله- لأنَّهم ليس معهم إيمان، لا يدرون ما تحت أقدامهم.

فالمُنافقون يعطون نورًا قليلاً في أول الأمر من باب السخرية بهم فيفرحون به، ثُمَّ يسلب منهم، فيصبحون في ظلمة يتخبطون، عند ذلك يستغيثون بالمؤمنين يقولون: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ يعني: انتظروا

حَتَّى نَلْحَقَ بِكُمْ وَنَسْتَضِيءَ مِنْ نَوْرِكُمْ، يطلبون من المسلمين أن يقفوا لهم حَتَّى يَلْحَقُوا بِهِمْ وَيَسْتَضِيئُوا بِنَوْرِهِمْ: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

هكذا يحكم الله بين خلقه يوم القيامة: يعزل أهل الإيمان عن أهل النفاق، ويكون أهل الإيمان في الجنة وفي النور، ويكون أهل النفاق والكفار في ظلمة وفي جهنم: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: المنافقون ينادون المسلمين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يعني: في الدنيا، ألم نكن نصلي ونصوم ونحج معكم؟

فيجيبهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]. والغرور: هو الشيطان.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ يعني: لا يقبل من الإنسان أنه يشتري نفسه بالمال.

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أنتم والكفار سواء: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]. فالأمر خطير جدًا.

فالواجب على المسلم: أن يحترم الإسلام، وأن يعظم الإسلام وأوامر الدين، وألا يستهزئ بشيء من الإسلام، ولو كان من السنن والمستحبات، بل يعظم الدين.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج :

. [٣٠]

الواجب : تعظيم الدين وتعظيم الأوامر الشرعية والنواهي واحترامها ، وكذلك تعظيم المؤمنين ، فلا يجوز للمسلم أن يسخر من إخوانه المسلمين .

بل الكفار إذا سخرُوا من المسلمين فإنَّهم يوم القيامة يُعكس عليهم الأمر ؛ قال ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ يعني : في الدنيا .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ : يغامز بعضهم البعض ؛ سخرية بالمسلمين وتنقيصاً للمسلمين واحتقاراً .

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ يعني : إذا ذهب الكفار إلى بيوتهم ﴿انْقَلَبُوا فُكَّهِينَ﴾ : يتحدثون في البيوت يقولون : نحن سخرنا بالمسلمين ، نحن استهزأنا بهم ، نحن آذيناهم ، يعتبرون هذا من المفاخر أنَّهم آذوا المسلمين .

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ : إذا رأى الكفار والمُجرمون المسلمين ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ .

يقولون : إن المسلمين مُخطئون في تدينهم ، الواجب أنَّهم يصيرون مع الناس وألا يتشددوا ؛ لأنَّهم يعتبرون الدين تشدداً ، الواجب أنَّهم يكونون مع الناس يتسامحون ، ويعيشون مع الناس ولو كانوا على الكفر وعلى المُحرمات ، فهم ضالون مُخطئون في تدينهم وفي تمسكهم بالدين .

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ : الله لَمْ يجعل الكفار مراقبين على المسلمين ينتقدونهم ، والله لَمْ يجعلهم حافِظين عليهم وأوصياء عليهم .

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ العاقبة : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يوم القيامة يكون الكفار في العذاب وفي الهوان ، والمُسلمون في الكرامة والرفعة والجنَّة ، ويطلُّون من الجنَّة وينظرون إلى الكفار وهم في النار يُعَذَّبُونَ فيضحكون منهم جزاء فينتقمون منهم : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ؛ كما ضحك الكفار من المسلمين في الدنيا فإن المسلمين يوم القيامة يضحكون من الكفار وهم في النار .

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ : يطلون عليهم من الغرف العلية في الجنَّة على المَجالسِ المُرتفعة يطلون على الكفار وعلى أعدائهم الذين آذوهم في الدنيا وضايقوهم ، يطلون عليهم من الغرف العلية ومن المَجالس البهية وهم في النار يُعَذَّبُونَ ويُهَانُونَ ، فيضحكون منهم .

﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين : ٢٩-٣٦] ؟ نعم ، قد جُوزِيَ الكفار بأفعالهم .

فَدَلَّ هذا على أنه لا يجوز الاستهزاء لا بالرسول ﷺ ولا بالدين ، ولا بشيء من القرآن ولا بشيء من أحاديث الرسول ﷺ ، ولا يجوز الاستهزاء بالمسلمين أو بأفراد المسلمين .

بل يجب احترام الدين واحترام أهل الدين وتوقيرهم وإجلالهم ؛ لأنَّهم عبادُ الله المؤمنون ؛ لأنَّهم أعزة عند الله ﷻ ، قد أعزهم الله

بالإسلام، فلا يجوز احتقارهم وتنقصهم، ولا يجوز الاستهزاء بهم والسخرية منهم، فإن ذلك يكون وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة.

فالمُستهزئ: هو الذي يكون ذليلاً في الدنيا والآخرة.

أمّا المُستهزأ به: فإن هذا لا يضره ما دام أنه على حق، وما دام أنه على دين، فإنه لا يضره من استهزأ به ومن سخر منه؛ فإن ذلك إنمّا يرجع وباله على فاعله وعلى قائله.

الحاصل: أن الاستهزاء بدين الله ﷻ وتنقص الدين أو تنقص شيء من أوامر الدين أو من الطاعات؛ يُعتبر ردة عن دين الإسلام، وكذلك تنقص رجال الدين، وتنقص المسلمين والمؤمنين، وتنقص العلماء، وتنقص أهل الخير والاستهزاء بهم؛ كله يدخل في هذا الباب الخطير.

فيجب على المسلم: أن يصون لسانه، وأن يحترم دينه، وأن يحترم علماء المسلمين، وأن يحترم رجال الدين، ويحترم كل مسلم يعيش على وجه الأرض، يحترمهم ويحبهم في الله ﷻ، ويُجلهم، وكذلك من باب أولى يحترم نفس الدين وأوامره والسنن والواجبات، يحترم ذلك ويعظمه ويُجله، ولا يسخر بشيء منه أو يتنقص شيئاً من دين الله ﷻ، فإن فعل شيئاً من ذلك فإنه يجب عليه التوبة إلى الله ﷻ، وإنقاذ نفسه من الخطر قبل أن تفوته الفرصة ويُغلق باب التوبة في وجهه ثم يكون من الخاسرين، فالأمر في هذا شديد.

نسأل الله ﷻ أن يحمينا من الوقوع في مثل هذه الأمور الخطيرة.

وأن يجعلنا وإياكم من الذين يملكون ألسنتهم ويحبسونها عن

الكلام فيما لا يجوز؛ فإن الكلام خطير جدًا، والإنسان قد يتهاون في الكلام مع أن الكلام له آثاره؛ إما آثار حسنة إن كان الكلام حسنًا، وإما آثار سيئة إن كان الكلام سيئًا.

قال الله ﷻ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. الكلام مُحصى على الإنسان: إن كان خيرًا زاده الله به رفعة: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وإن كان الكلام سيئًا فإنه يرجع وباله ويرجع شره على قائله؛ كما جاء في الحديث: «وهل يكذب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إِلَّا حصائدُ ألسنتهم»^(١).

وربما يتكلم الإنسان بكلمة واحدة تكون سببًا في هلاكه وشقائه دائمًا وأبدًا، كما قال ﷻ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»^(٢). كلمة واحدة من سخط الله إذا تكلم بها الإنسان حتى ولو لم يلق لها بالًا، ويظن أنها سهلة؛ فإنه يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، فكيف بكلمات كثيرة؟! الأمر أشد، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥].

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٧/٥)، ورواه الترمذي في سننه (٢٨٠/٧)، (٢٨١)، ورواه ابن ماجه في سننه (١٣١٤/٢، ١٣١٥) كلهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام البخاري (٧٨/٧، ٧٩) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الواجب علينا : أن نحفظ ألسنتنا ، وألا نتكلم إلا بخير ، قال ﷺ :
 «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ فليقل خيراً أو ليصمت»^(١) .
 فالصمت خير من الكلام الباطل .

إن الإنسان إذا صمت سلم ، لكنه إذا تكلم بالباطل فإنه يهلك ، فإذا
 أمسك لسانه سلم ، فالإنسان إما أن يتكلم بخير فيصعد ، وإما أن يتكلم
 بشر فيهلك ، وإما أن يسكت فلا له ولا عليه .

هذا ؛ ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح ،
 والاستقامة والسداد ، وأن يرزقنا وإياكم التمسك بهذا الدين ، وأن
 يرزقنا وإياكم نزاهة الألسن عن الكلام البذيء ، والكلام الفاحش ،
 والكلام الذي يرجع وباله على قائله .

وصلّى الله وسلّم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه .

* * *

(١) رواه الإمام البخاري (٦٤٧٥) من حديث أبي هريرة ؓ .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- سنن ابن ماجه : مُحَمَّد بن يزيد القزويني ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢- سنن الترمذي : مُحَمَّد بن عيسى الترمذي ، دار المَكْتَبَة الإسلامية ، تركيا - إستانبول .
- ٣- صحيح الإمام البخاري : مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٤- صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ٥- مسند الإمام أَحْمَد : أَحْمَد بن حنبل ، دار مؤسسة قرطبة ، دار الراية ، السعودية بالرياض .
